

"

"

()

**ST. CATHERINE'S COLLEGE, UNIVERISTY OF OXFORD,
MANOR ROAD, OXFORD, UK.**

2004/8/28

<http://www.ibaqir.net> © باقر ابراهيم

!

(

)

!

:

()

:

()

" "

!

:

:

()

:

()

()

2003 /

!"

"

: .

()

)

(

:

!

!

:

:

.

!

()

()

()

:

!

” ”

! :

!

()

)

(

:

قيل الكثير من الاتهامات ، ونشر الكثير من التشويش عن مقاومة الشعب العراقي لغزو بلاده واستعمارها .

لكن الحقيقة ، التي صارت تتضح الآن، بعد اكثر من عام ونصف على الاحتلال، ان مقاومته لم تكن إرادة يقررها جيش أو حزب أو مفكر أو مرجعية دينية. إنها حق لشعب في ان يتمتع لوحده بوطنه و بخيرات هذا الوطن. ومن ينصح العراقيين، بالتعقل والتريث، وباللجوء إلى الحل السلمي ، لمواجهة هذا الغزو، يجدر به ان يوجه "نصائحه" تلك للغازي وحده، ولمن يعاون الغازي.

تدعو صحف الأحزاب الموالية للاحتلال الآن ، إلى الجنوح للسلم وتسليم أسلحة المقاومين والدخول في "العملية السلمية"! هم يخفون ما يقصدونه من هذه الدعوة المغمورة بالطيبة والعقلانية ظاهريا ، لكنها في جوهرها لا تعدو المطالبة بالانتهاء من مقاومة الاحتلال وحل اية تشكيلات مناهضة له، العنيفة او لاثم السلمية، والاستسلام لارادته والدخول تحت خيمته لتجنب إذاه أو لنيل عطايه كما فعلوا هم تماماً. بعيدا عن التنظيرات، وبعيدا عن الإفادة في التجربة الثرية لقوى التحرير ومنها تجربة الشعب العراقي التاريخية، فان مدة اكثر من عام ونصف على رؤية وتلمس مآسي الاحتلال الأجنبي، وحتى في مناطق واسعة نادت بالمواجهة السلمية للاحتلال، فقد كانت كافية للحكم على آية أساليب هي المجدية، وهي المطلوبة لتحقيق التحرير .

وبسبب ذلك، تتسع القناعات الشعبية بأنه دون مقاومة الاحتلال، بكل الوسائل الضرورية، فلا أمل للعراق بالتحرير. ولذلك لا بد ان ترفض وتدان المساعي لإنكار هذا الحق العادل الذي أباحتته شرائع الأرض والسماء واخرها شرائع الأمم المتحدة.

ها هو العراق يتحول إلى مستنقع دم للمحتلين، يغوصون فيه دون مخرج. وهو يقدم لبلدانهم المزيد من الضحايا ومن خيبات الأمل، بدلا من النفط والثراء. وبدون ذلك، فلا أمل للعراق بدولة مستقلة، تحترم نفسها ، ويعيش شعبها آمناً.

يقول المتخادلون والمتشائمون، ان الاحتلال جاء ليبقى. هم سمعوا وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد يصرح يوم وصوله بغداد في 2004/5/13م قائلاً: "إذا كان هناك من يعتقد بانى جئت إلى العراق لسكب الماء على النار فهو مخطئ..". وفي ذات اليوم امتدت نيرانه لتحرق بيوت وشوارع النجف والكوفة والفلوجة وكربلا وكل العراق.

لكن الشطر المهم والفعال من العراقيين ، أجاب بان الغزاة جاءوا لحتقهم، وقد خدعهم من قال لهم إننا وجهنا لكم الدعوة للقدوم!

وحتى يتضح ذلك المصير الأكثر كارثية للغزاة، أمام أنظار شعبي أمريكا وبريطانيا، وأمام المحتلين ومن يعاونوهم من (أهل البلاد)، الذين يشاركونهم الغوص في المستنقع ذاته، ستنتج حينذاك أفكار وسياسات المعقولة، وتتوفر الإمكانيات للبحث في سبل أخرى ، توقف مأساة الطرفين وتجعل التفاوض والحوار بين العراقيين ومحتلي بلادهم ممكناً.

وحينما يتجمع الرأي العراقي، ويتسع الاتفاق الشعبي على شرعية وتأييد المقاومة والتهيؤ للجهاد العام ، فان إمكانيات اكبر لتحقيق الحل السلمي، بإشراف الهيئات الدولية، ستظهر للوجود، وسيزداد مناصروها في كل مكان.

توجد حقائق أخرى، أوسع من الإطار العراقي لهذا الصراع . فأمريكا وحلفاؤها يخوضون ثلاثة حروب استنزافية ، ليست لها نهاية قريبة. إنها حروبهم في العراق وفلسطين وأفغانستان. وهذه الحروب تهدد بالانتشار.

وعلى الأرجح ، فانه ارتباطا بما سوف تتخض عنه الحلول للوضع في العراق، سيمكن الاستنتاج ماذا إذا كان بالإمكان إطفاء هذا الحريق الواسع، أم اشتعال حرائق أخرى في المنطقة ، لا يمكن حصر مداها.

تتردد كثيراً مقولة (الواقع العربي السيئ). إلا ان هذا الوصف السلبي لا ينبغي ان يحجب عنا رؤية وجه آخر لذلك الواقع العربي. فالعالم العربي، على ضخامة المطامع والتحديات الخارجية، التي تثقل كاهله بالعدوان والاحتلال والنهب، يواجه تحديات داخلية خطيرة ايضا. تتمثل تلك التحديات ، بأنظمة الاستبداد، وخاصة منها التي تعاون العدو الخارجي في تنفيذ خطته. وكذلك قوى الردة والتخاذل في الوسط الشعبي.

ولكن ، رغم تلك التحديات التي تضعف صمود الشعب العربي وتسعى لاعاقه مقاومته، فهو مضطر لان يقاوم وإحياناً بضراوة. فلا خيار له غير ذلك. ان مقاومة الشعب في لبنان وفلسطين والعراق أعطت نموذجاً فريداً، في رفض التخاذل وفي التشبث بأمل النهوض والتقدم. وعلينا ايضا ان نحذر من مخاطر أخرى. فالتعجل والحث المفرط لتحقيق الأهداف الطيبة، قد يرضى العاطفة والرغبة، ولكنه حين يتخطى الواقع المعقد الراهن، في كل قطر عربي على انفراد، وفي المحيط القومي العربي عموماً، وحين يقلص جبهاتنا النضالية، ويوسع جبهة الخصوم، فانه يؤدي بالتأكيد إلى تغذية دواعي اليأس أو الضعف التي نعاني منها. ان حساسية وتعقيدات الوضع الراهن، و علاقاته بمآسي الماضي، يتطلب الخطاب السياسي، الوطني والقومي، المتسم بالوضوح في الهدف وبالمرونة العالية في الأسلوب، ويتطلب الحذر من الانشداد إلى التخشب في الشعارات.

وصف شاعر الحكمة العربية زهير بن ابي سلمي، هذه المرونة المطلوبة بالمصانعة حين قال:

**ومن لا يصانع في أمور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم**

وإذا كانت قوى النضال من اجل التغيير والتحرير، لا تصانع (بمعنى تتاور)، فهناك ما هو اليوم أفسى من التضريس بالأنياب والوطء تحت خفاف البعير.

من الجانب الآخر، فان جوهر النضال من اجل التحرير والتغيير، يضيع، بل يذهب هباءً، حين تقع قواه ، أو أجهزة أعلامه، أو خطابها السياسي تحت تأثير من فقدوا البصيرة، فوصلت بهم المصانعة حد الذوبان في مشروع الخصم، كما فعل المرتدون الجدد.

في العراق، تستعيد الحركة الوطنية الآن، حيويتها، وينمو دورها في قيادة المجتمع، وتسعى لتوحيد صفوفها، بعد تاريخ طويل من الاستبداد الداخلي، وبعد تجمع شر الخصوم العالميين ، لتدمير العراق وإرضاخ شعبه.

ورغم تلك المعاناة القاسية، فقد قدمت تلك الحركة، نموذجاً رائداً في الحكمة السياسية، وفي الفداء والثبات على المبادئ الوطنية والقومية وفي رفض اللقاء مع غزاة الوطن، بل تحمل مسؤولية قيادة الشعب من أجل التحرر والتقدم والوحدة.

هذه الحركة الواعدة، التي هي أمل الشعب، وأمل النضال العربي، والتي يسعى خصومها لتطويقها والتعتيم عليها، هي اليوم بحاجة ماسة لكل دعم ممكن.

ان تحديد أولويات النضال، بالتصدي لمشروع الغزو القائم، وتحشيد كل قوى العالم العربي ، شعوبا ومنظمات ومؤسسات وشخصيات لمواجهة والضغط لفك قيود الاستبداد التي تكبل فعاليته، كل ذلك هو ما يلخص جوهر مهمات نضالنا الراهن.

وكي نضمن صد الخطر الداهم ونمنع امتداد غزوه ، يلزم تركيز الجهد الأكبر لدعم مقاومة شعبي فلسطين والعراق للاحتلال.

فالمقاوم الفلسطيني والعراقي، يقدمان بتضحياتهما، نموذجاً من الفداء، ليس من أجل وطنيهما فقط، بل لصالح كل حركة التحرر الوطني العربية، وللقوى العالمية المناهضة للحرب والإمبريالية.